

تصورات خاطئة (11) هل يُجمع الشيعة على تحريم القياس؟

يتصور الكثير خطأً أن الشيعة يجمعون على تحريم القياس الفقهي.. والحال إن أول ما بدأ به الاجتهاد لدى الشيعة هو العمل بالقياس، وذلك على يد فقيهين كبيرين هما ابن الجنيد وابن أبي عقيل العماني. ويُنقل بأن للأول كتاباً حول القياس عنوانه: (كشف التمويه والالتباس على اغمار الشيعة في أمر القياس).

ومن الغرابة حقاً أن يحصل العمل بالقياس في وسط معباً بكثرة الرواية والأخبار ونقد القياس والرأي والإستحسان وسائر صور الاجتهاد. وهذا ما جعل المحاولة تموت في مهدها، لا سيما وأنه لم يحتفظ بكتب هذين الفقيهين فتعرضت للضياع، كما أهمل العلماء أمر الفقيهين واعتبروهما من الشواذ في الوسط العلمي.

وأغرب من ذلك ما نُقل عن وجود جماعة من أصحاب الأئمة كانوا يعملون بذلك النوع من الاجتهاد، ومنهم من عُرف بقوة الوثاقة والجلالة، كالذي يطلعنا عليه الشريف المرتضى، وهو أن في رواية الشيعة من يقول بالقياس ويذهب إليه في الشريعة، كالفضل بن شاذان ويونس بن عبد الرحمن وجماعة معروفين^[1]. ويؤيده اتهام الشيخ الصدوق للفضل بن شاذان بأنه كان يعمل بالقياس^[2].

كذلك إن من المتأخرين من قام بتبرير العمل بالقياس بسبب الإنسداد الحاصل ببعد زماننا عن زمن النص، وإن مضامين الأخبار عن أئمة أهل البيت لا تدل على حرمة العمل بالقياس عند عدم التمكن من العلم بالحكم. وبالتالي فالعمل به جاء للضرورة والإضطراب عندما تكون ظنيته أقوى من ظنية غيره من الطرق الكاشفة عن الحكم^[3].

أما سائر الفقهاء فقد عُرف عنهم المنع من العمل بالقياس وسائر صور الاجتهاد الظني فيما لا نص فيه، ومنهم المنظرون للفكر الشيعي خلال عصر الغيبة، وهم المفيد والمرتضى والطوسي.

^[1] مجموعة رسائل الشريف المرتضى، ج3، ص.311 ومحمد مهدي بحر العلوم: الفوائد الرجالية، حققه وعلق عليه محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، نشر مكتبة الصادق، طهران، مكتبة يعسوب الدين الإلكترونية، ج3، ص.219

^[2] الصدوق: من لا يحضره الفقيه، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة

المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الثانية، 1404هـ، عن مكتبة يعسوب الدين الإلكترونية، ج4، ص.270

[3] فرائد الأصول، ج1، ص253-254